

## نقد على آراء الدكتور السامرائي حول المعرب والدخيل في الفارسية والعربية

مجيد أديب<sup>١</sup>، سيّد محمد رضا ابن الرّسول<sup>٢\*</sup>

١. ماجستير في اللغة العربية وآدابها من جامعة أصفهان

٢. أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان

(تاريخ الاستلام: ١٤٣٢/٢/٢٢ : تاريخ القبول: ١٤٣٢/٧/٢٧)

### الملخص

لقد عبّر التاريخ كثير من الكلمات المأخوذة من الفارسية واليونانية وغيرهما من اللغات. إن القدامى والمعاصرين من العلماء لم يفهم أمر هذه المعربات فأشاروا إليها، ومنهم جمهور أصحاب كتب التفسير والحديث والمعجمات؛ وأن من العلماء من ألّف في هذا الموضوع.

وعدد الكتب التي ألّفت في هذا المجال من الجواليقي في القرن السادس إلى إدي شير ثم إمام شوشتري وأخيراً محمد التونجي في سوريا، قد يتجاوز الخمسين، ومنها: كتاب الدخيل في الفارسية والعربية والتركية لإبراهيم السامرائي، وله فيه ملاحظات بشأن هذا الدخيل ونوع المضردات ومدلولاتها في الفارسية والعربية؛ فهو يعتقد بأنّ اللغة وعاء الحضارة، ويذهب إلى أنّ العرب إذا كانوا قد أخذوا من الفارسية مما هو محسوس مشاهد من أسماء الأدوات والآلات ونحوها، فإنّ الفرس قد أفادوا من العربية ألفاظ الفكر والمعارف العامّة من أدب، وفنّ، وفلسفة، وما يتصل بعامة علوم الإسلام. فبناء على هذا، ينكر حضارة الفرس القديمة وثقافتهم، وبالطبع وبالتبع يرفض تأثيرهما في الثقافة العربية والإسلامية.

هذا الظنّ هو الذي دعانا إلى التفكير في موقفه تجاه الفارسية، ومحاولة العمل على نفيه أو التخفيف من حدّته وسطوته على الأقلّ. فتحاول في هذه المقالة أن نبين آرائه بهذا الصدد باختصار، ثمّ نعرض نقداً متواضعاً عليها.

### الكلمات الرئيسية

الفارسية، العربية، المعرب، الدخيل، الإسلام، إبراهيم السامرائي، الفردوسي.

## مقدمة

في بداية المقال عليّ أن آتي بترجمة حياة السامرائي، فعرض معجمه القيم موجزاً، ثمّ تبين آرائه حول ما أفاده الفرس من العربية وما أخذه العرب من الفارسية وغيرهما مما يرتبط بالبحوث اللغوية. وأمّا مناقشة هذه الآراء فهي ستأتي ضمن البحث بصورة مفصّلة بتوفيق الله وتأييده.

## نبذة من حياة إبراهيم السامرائي

الدكتور إبراهيم أحمد السامرائي<sup>١</sup>، أستاذ فاضل وأديب شاعر. ولد بمدينة العمارة في جنوبي العراق ونشأ على يد أبيه. وأدخله المدرسة الابتدائية ثم المتوسطة، ثم انتقل إلى بغداد ليلتحق بدار المعلمين الابتدائية فحصل على شهادتها وعلى شهادة الثانوية، والتحق بعدها بدار المعلمين العالية، وعيّن بعد تخرّجه فيها مدرساً على الملاك الثانوي. ثم سافر في بعثة علمية إلى باريس للالتحاق بجامعة السوربون والتخصص بموضوع اللغات السامية وفقه اللغة العربية. حصل على شهادة الدكتوراه سنة ١٩٥٦م. عاد بعدها إلى بغداد وانتسب إلى كلية الآداب والعلوم. وتدرّج من مدرّس إلى أستاذ مساعد فأستاذ، ثم طلب إحالته إلى المعاش عام ١٩٨٠م، حيث عمل بالجامعة الأردنية ثم بجامعة صنعاء.

إنه كان عضواً في المجمع اللغوي بالقاهرة والأردن، وفي المجمع الهندي، وفي الجمعية اللغوية الفرنسية. وقد واصلَ إلقاء المحاضرات وإعداد الأبحاث والدراسات والمعاجم، بحيث أصبحت مؤلفاته مراجع هامة للدارسين والباحثين؛ نشرت مؤلفاته: أنستاس ماري الكرميل، التطور اللغوي، تنمية اللغة العربية، التوزيع اللغوي الجغرافي، الدخيل في الفارسية والعربية والتركية؛ معجم ودراسة، فقه اللغة المقارن، في اللهجات العربية القديمة، لغة الشعر بين جيلين، اللغة والحضارة، مباحث إفريقية، مباحث لغوية، معجم ابن المقفع، معجم أبي العلاء المعري، معجم الجاحظ، النحو العربي: نقد وبناء، نزهة الألباء، وغيرها من الكتب اللغوية والتحقيقات والترجمات التي تجاوزت الثمانين. وله ديوان شعر بعنوان «ألحاني». وشعر

السامرائي ثري بالخواطر، إلا أنه يفتقر إلى الإيقاع الموسيقي بشدة، ولعلّ انصرافه إلى العلم أضعف هذا الجانب وقَلَّ من عنصر الشعر الحيّ عنده (انظر: العلاونة، ٢٠٠١؛ الجبوري، ٢٠٠٤م، ص١٤).

كلمة عن معجمه

تناول معجم الدخيل في الفارسية والعربية والتركية:

• تبادل الألفاظ بين هذه اللغات، أي التواصل الحضاري بين هذه الشعوب، لأن اللغة وعاء الحضارة.

• وعرّج أولاً على الدخيل الفارسي الذي عرفه العرب في عصورهم المتقدّمة وفي العصور التي أعقبها والذي يتّسم بالمدلولات الحسيّة والأدوات والموادّ التي يستعملها النّاس في حياتهم. • واستدرك موادّ لغوية متبادلة بين العربية والفارسية فاتت كتب المعرّبات التي عالجت هذا الموضوع.

• وسجّل ما بقي من الألفاظ التركية في الألسن الدارجة، خصوصاً من التركية العثمانية، وكذلك ما أفاده الأتراك من فصيح العربية.

• وأخيراً توقف عندما استعارته العربية في العصور المتأخّرة من مصطلحات فنيّة من الفارسية والتركية معاً.

قدّم المؤلّف إلى القراء العرب معجماً يسهم في تأصيل الكلمات، وفي إعداد الدراسات اللغوية المقارنة.

آراؤه حول ما أفاده الفرس من العربية وما أخذه العرب من الفارسية

إنّ السامرائي، في الصفحة الثالثة من معجمه، يقول: «إذا كان العرب قد أخذوا من الفارسية مما هو محسوس مشاهد من أسماء الأدوات والآلات ونحوها، فإنّ الفرس قد أفادوا من العربية ألفاظ الفكر والمعارف العامّة من أدب، وفنّ، وفلسفة، وما يتّصل بعامّة علوم الإسلام، ولم يقتصروا على هذا كلّ بل تجاوزوه إلى ألفاظ تتّصل بالحياة العامّة.»

كما يضيف في الصفحة الثالثة عشرة بعد المتّين قائلاً:

«وأعود إلى الفارسية وما كان فيها من تراث لغوي عربي يتّصل بألفاظ المعارف العالية من دين وأدب وفنّ وغير ذلك، ولم استبعد في ما أخذه الفرس الموادّ الأخرى التي لا تتّصل

بتلك المعارف فأقول: لعلّ المرء يعجب عجباً شديداً مما يقال في حضارة الفرس القديمة في مراحلها المختلفة قبل الإسلام. كيف كان للفرس مما يقال في البناء الحضاري ولغتهم تفتقر لألفاظ المعارف من أدب وفنّ وعلوم؟ أنقول: قد جاء الإسلام فدخل عامّة الفرس في الدين فأصابوا هذا الرقي الحضاري الجديد، والدليل على هذا هذه الثروة العربية في لغتهم!! ولو افترضنا أن كان لهم من المعارف العالية، فأين هذه في لغتهم؟ أطرحوها عنهم واستبدلوا بها ما نعرفه اليوم في لغتهم من آثار عربية؟

ثم كيف حال لغة تستعير في لغتهم موادّ لا يمكن أن تخلو لغة منها ولو كانت لغة بدائية، نحو: أساس، إسهاال، بخار، جواب، حيلة، حرام، حلال، ساقى، وأنت تستطيع أن تحصي من هذا قدراً كبيراً فيه شيء دون هذا مما يكون في أية لغة. ألم يأتنا نبأ الشاعر الفردوسي الذي عاش في حقبة شعر فيه الفرس أن يعودوا إلى أمجادهم التي زعموا أن الإسلام قد قضى عليها، فنظم ملحمة *الشاهنامه* لهذا الغرض، ثم عاد ليرى ما فيها من العربية التي اجتهد على أن يستبدها من صنعته ما وسعه ذلك، فكان أن وجد فيما صنع مئات عدّة من الألفاظ العربية، فسخط وصرخ قائلاً: «تُف عليك أيّها الفلك الدوّار!!»

### مناقشة آرائه

#### توطئة

«إن المتتبع للغات الإنسانية يجد مسألة التأثير والتأثير فيما بينها واضحة للعيان، فكلّ لغة تأخذ من غيرها وتعطيه، بسبب الجوار والاتصال، والتمازج الحضاري بين الشعوب كافة. وليست العربية بدعاً بين اللغات الإنسانية، فهي كغيرها يجري عليها قانون التبادل اللغوي، إذ دخلت إليها جملة من الألفاظ والمفردات من اللغات المجاورة كالفارسية والهندية واليونانية» (ملا ابراهيمي ومحمدي، ١٣٨٧، المقدمة). ويدخل في ذلك ما يسمّى في العربية بالتعريب.

والآن قبل أن ندخل في صميم البحث، تجدر الإشارة إلى نقطة تبيّن منهجنا في نقدنا هذا وهي: أن السامرائي يرى اللغة وعاء للحضارة، ومرآة تنعكس فيها الثقافة والمدنيّة، وبهذه المقدّمة ينفي حضارة الفرس قبل الإسلام؛ لأنه لا يرى لهم وعاء أي لغة تحتوي تلك الحضارة. هذا وأنه يجهل أو يتجاهل وجود الوسائل والطرق العديدة الأخرى للتعرف على حضارة الأمم والحكم بثقافتهم ومدنيّتهم؛ ومن أهمها علم الآثار والمعالم الأثرية على وجه العموم؛ من المسكوكات، وأدوات المعيشة القديمة، إلى النقوش الحجرية، والأبنية الأثرية التي تدلّ

بوضوح على الفكر، والفنّ، والدين، والعلم، وفي كلمة واحدة على حضارة صانعيها وثقافتهم. على هذا كلّ، يمكن مناقشة آرائه من شتى الأبعاد والمواضيع، ولكن بما أنهم يقولون: «الشيء بمثله يعالج» أو «عالج الشيء بما يستحقه»، فنرجح ألا ننظر إلى القضية إلا من منظار اللغة ونترك التاريخ وحقائقه.

#### لا تفاضل ولا امتياز

«الاختلاط بين الأمم، بمختلف وسائله، ومن ذلك الاتصال التجاري، يؤدي إلى حدوث تفاعل في اللغة، فقد يوئد هذا الاحتكاك ألفاظاً جديدة يطلقونها على أشياء لم يكن لأهل تلك اللغة علم بها، وقد يضطر أصحابها إلى استعمال المسميات الأجنبية كما هي، أو بشيء من التبديل والتغيير ليناسب النطق بتلك اللغة. وقد وقع ما أقوله في كل اللغات، ويقع الآن أيضاً، وسيقع في المستقبل إلى ما شاء الله، لا استثناء في ذلك، ولا تفاضل، ولا امتياز. فاللغات كلها، ومنها اللغة العربية في جاهليتها وإسلاميتها، تخضع لهذا القانون وليس الأخذ والعطاء دليلاً على وجود نقص في لغة ما، أو وجود ضعف في تفكير المتكلمين بها. فكل اللغات مهما بلغت من النمو والكمال والسعة، لا بد لها من أن تأخذ وأن تطور مدلول مفرداتها أو تضع مفردات جديدة لأمر لم تكن معروفة وموجودة عندها. ولا نعرف لغة ما من اللغات الميتة أو الحية، انفردت بنفسها انفراداً تاماً، فلم تأخذ شيئاً ولم تعط شيئاً.

والعربية بجميع لهجاتها وألسنتها مثل اللغات الأخرى، وفي جملتها اللغات السامية أخذت وأعطت، قبل الإسلام وبعد الإسلام، ولا تزال تأخذ وتعطي ما دام أصحاب اللسان العربي باقين في هذا الكون. والأخذ والعطاء، ووضع مفردات جديدة في لغة ما، هما من دلائل الحيوية ومن أمارات القوة والتكامل في تلك اللغة» (علي، ١٩٨٠، ص ١١٢١).

#### مصادرة بالمطلوب

لو افترضنا قبول ما زعمه السامرائي عندما يقول: «إذا كان العرب قد أخذوا من الفارسية مما هو محسوس مشاهد من أسماء الأدوات، والآلات ونحوها» (السامرائي، ١٩٩٧، ص ٣)، فإن هذا يدل على تخلفهم عن ركب الحضارة وكونهم في طور البداوة من الحياة، بحيث تفتقر لغتهم لأبسط الألفاظ الدالة على ظواهر الحياة المدنية والحضرية؛ لأن اللغات لا تستعير الكلمات الأجنبية ولا تستقرضها إلا عند الخلو منها والافتقار إليها. وعدم توفر لفظة في لغة ما، هو دليل على عدم تواجد مسمّاها فيها. وهذا، نفس الشيء الذي يعتقد به

السامرائي حيث يقول: إذا لا نجد ألفاظ المعارف في الفارسية فهذا لا يكون إلا بسبب عدم تعرّف الفرس بهذه المعارف. (السامرائي، ١٩٩٧، ص ٢١٣)

فعلى هذا كلّ، عدم تواجد ذلك النوع من المفردات في العربية، يدلّ على عدم توفّر مسمّيّاتها لديهم وهي الحضارة؛ لأنه لو كانت لديهم حضارة لوجدناها في لغتهم. وبيان هذا كالتالي: «كانت العربية زمن الجاهلية غنية في شؤون الحياة البدوية وما يتصل بها، فلما فتح المسلمون العرب فارس وكثيراً من بلاد الروم رأوا من أدوات الزينة والتّرف ما لم يكونوا قد رأوه، ورأوا من الحرف الدقيقة والفنون الجميلة ما لم يعهدوه، كما رأوا من تنظيم الحكومة وتدوين الدواوين ما لم يكن يخطر لهم على بال، فاضطّروا إلى أن يقتبسوا من الأمم المفتوحة ألفاظاً يدخلونها في لغتهم، وكانت اللغة الفارسية أقرب منبع يستمدون منه ما يحتاجون إليه» (إيرواني زاده وشاملي، ١٣٨٤، ص ٥٨).

إنّ المعطيات الناقصة قد أدت إلى استنتاجه الخاطئ

يقول السامرائي: إنني استقرت كتاب المعرب للجواليقي، والمعجم الذهبي للتونجي، والألفاظ الفارسية المعرّبة لأدّي شير، ومعيار اللغة للميرزا محمد الشيرازي، لأثبت ما هو فارسي في لغة العرب وصنعتهم فيه. (السامرائي، ١٩٩٧، في هامش ص ح)، وهذا في حين أنّ النقص المشترك في جميع هذه الكتب، إنما هو أنّ مؤلّفها قلّمَا اشاروا إلى الألفاظ العلمية ومصطلحاتها؛ فمثلاً: لم يضبط في الكتب المذكورة، شيء جدير بالذكر من المصطلحات الطّبيّة، والصيدليّة، والموسيقية، وما لفنّ العمارة وغيرها.

وفي المعرب، قد اكتفى الجواليقي بالكلمات التي دخلت في العربية من الفارسية في عصر الجاهلية فحسب ولم يعتن بألفاظ العصر العباسي وهو عصر الترجمة ونقل العلوم والمعارف من الفارسية والسريانية واليونانية إلى العربية. وكذلك الخفاجي في شفاء الغليل. أضف إلى ذلك أنهم لم يكونوا يجيدون الفارسية ولم يتقنوها وقد أخطأوا أحياناً في تشخيص أصل المفردات وشكلها في الفارسية. (إمام شوشتری، ١٣٤٧، ص ٣١)

لمن الفضل والسبق إذا اشتملت العربية على ألفاظ المعارف العالية؟

يقول شوقي ضيف في كتابه تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي، مبيناً تأثير القرآن في اللغة والأدب: «إنّ القرآن الكريم حوّل العربية إلى لغة ذات دين سماوي باهر، وبذلك أحلّ فيها معاني لم تكن تعرفها من قبله ولا كانت تعرف العبارة عنها» (ضيف، ١٩٢٢، ص ٣٢)،

ويضيف قائلاً: «وبمرّ الزمن أخذت تتكون حوله علوم كثيرة. ولا نبالغ إذا قلنا إن كل ما كسبه العرب من معارف إنما بفضل ما غرس فيهم القرآن من حبّ العلم... ولا نبالغ إذا قلنا إن العلوم الإسلامية كلها، إنما قامت لخدمته، فهو الذي هيأ بقوة لنهضة العرب العلمية» (م.ن)، بينما كانت سذاجة العقلية العربية في الجاهلية وتخلّفها في جميع ميادين المعرفة وما إلى ذلك مسيطرةً على الحياة الجاهلية، وهذا ابن خلدون يقول: «ليسوا أصحاب صناعات ولا علوم» (ابن خلدون، ١٩٧١، ص ٢٥٢: وفي مواضع متفرقة)، «ولعل أهم ما كان لديهم في الجاهلية، هو معرفتهم بالأنساب والأيام، وبأوقات مطالع النجوم ومغايها، وبيعض الأمراض والعقاقير وهي معارف ناقصة أولية مشوبة بالخرافات مثل العيافة...» (آذرشب، ١٣٨٤، ص ٢٢).

فالفصل هنا أولاً للقرآن الذي أحلّ فيها المعاني السامية والمعارف العالية التي لم تكن فيها من ذي قبل، وثانياً للفرس الذين شغفوا بالعلوم والثقافة الإسلامية شغفاً شديداً لا نجد بين الشعوب الإسلامية شعباً يضاهيه في ذلك وقد بذلوا في سبيل ذلك جهداً كبيراً لا مثيل له، ونبغوا في مختلف العلوم، منها: الطبّ والرياضيات وعلم النبات والفلسفة والطبيعيات والهيئة واللغة والعلوم القرآنية والحديث وغيرها، وقد اتخذوا العربية وعاءاً لأفكارهم وكتبوا أكثر آثارهم العلمية باللغة العربية وقد تورّمت هذه اللغة من الفرس وخدمتهم فيها. (ابرواني زاده وشاملي، ١٣٨٤، صص ٥٤-٦٧).

هل يوافق سائر علماء اللغة وأدباء العرب رأيه أم لا؟

لقد رأينا أن السامرائي أنكر حضارة الفرس القديمة وثقافتهم، وبالطبع وبالتبع رفض تأثيرهما في الثقافة العربية والإسلامية. فهذا الظنّ هو الذي دفعني إلى التفكير في موقفه من الفارسية، والعمل على نفيه أو التخفيف من حدّته وسطوته على الأقل.

فيمكنني مناقشة ما زعمه في إطارين: جزئي وكلي، ففي الأول، أتطرق إلى رأيه حول نوع المفردات الدخيلة في اللغتين مقارناً بينه وبين ما أورده العلماء في كتبهم. وفي الثاني، أتناول رأيه حول الثقافة الفارسية وأثرها في العربية مبيّناً المواقف الموجودة في هذا الشأن.

الأول: أكثر المفردات التي تقتبسها لغة من أخرى تتعلّق بموضوعات إما تختصّ بأهل هذه اللغة ولا نصيب للمستعيرة فيها، وإما قد سبقت هذه الشعوب المقترضين، أو قد أحرزت التفوق على المستعيرين بتكوين هذه الموضوعات وإنتاجها أو بالتمتع الأكثر منها. فعلى هذا، أكثر الكلمات الفارسية واليونانية التي دخلت في العربية ترتبط بالجوانب المادية والفكرية

التي تفوق فيهما هذان الشعبان على الأعراب وبهذا السبب أجبروا على اقتباس مثل هذه الكلمات منهما. (عبدالطوب، ١٣٦٧، ص ٤١٠)

أضف إلى ذلك ما أورده جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية ضمن إشارة عابرة إلى الألفاظ العلمية الأعجمية من اللغة الفارسية من أسماء العقاقير والأمراض والأدوات والمصنوعات مما لم يكن له نظير في بلادهم، (زيدان، ١٩٩٢، ص ٣٤٣) علاوة على ما يحصيه إمام شوشترى في كتابه فرهنگ واژه‌های فارسی در عربی.

والثاني: إن الباحثين العرب المعاصرين اختلفوا في أثر الفرس الأدبي في الثقافة العربية اختلافاً كبيراً، وإن اتفقوا على دور الفرس الاجتماعي الكبير في الحضارة العربية. ونستطيع أن نصنّف - حسب ما صنعه يوسف حسن بكّار في كتابه نحن وتراث فارس - هؤلاء الدارسين في فئات ثلاث نختار لكل فئة أبرز من يمثلها:

الفئة الأولى: لا ترى للأدب الفارسي أثراً بعيداً في الأدب العربي. وأبرز من يمثلها طه حسين الذي يعد المسألة «أسطورة قائمة على خطأ شنيع»، ويذهب إلى أكثر من هذا حين يرى أن الأمة الفارسية هي مدينة للأمة العربية؛ لأن الأدب الفارسي نشأ في القرن الرابع الهجري ردّ فعل للأدب العربي. ويلحق بطه حسين، عبد العزيز الدوري الذي يرى أن ثمة مبالغات كثيرة في دور الفرس في الثقافة العباسية، مرجعها - عنده - محاولات الشعوبيين المتعددة في نسبة كل شيء عند العباسيين إلى الفرس. ويتابعهما محمد نجيب البهيتي الذي لا يتردد في وصف الحضارة الفارسية بأنها أضخم انتقال في التاريخ. (بكار، ٢٠٠٠، ص ٩)

هناك ملاحظة قبل أن أشير إلى أصحاب الفئتين الآخرين، وهي أن هذه، ليست وجهة نظر جديدة بل نرى الجاحظ قد اتخذ نفس الموقف عندما يقول: «ونحن لا نستطيع أن نعلم أنّ الرسائل التي بأيدي الناس للفرس، أنها صحيحة غير مصنوعة، وقديمة غير مولدة، إذ كان مثل: ابن المقفّع، وسهل بن هارون، وأبي عبّيد الله، وعبد الحميد وغيلان، يستطيعون أن يولدوا مثل تلك الرسائل، ويصنعوا مثل تلك السير» (الجاحظ، ٢٠٠٩، ص ٥٤٧)، فهو أيضاً يعتبر الفكرة خاطئة مرجعها الشعوبية.

أمّا الفئة الثانية: فيمثلها أحمد شايب ومحمد مصطفى هدارة. الأول متطرّف جداً، لأنه يذهب في إرجاع كل شيء في الثقافة العربية إلى الفرس. ويقول إن هذا النفوذ الفارسي السياسي [إبان العصر العباسي] يسرّ للثقافة الفارسية أن تبسط سلطانها علمياً، وفتياً،

وأديباً حتى صار الأدب العباسي عامة أدباً جديداً ليس للعرب فيه إلا اللغة، وأما موضوعاته وفنونه وأساليبه وصوره، فقد أخذت تستحيل في ظلّ هذا السلطان الجديد وصار الأدب أجنبياً. أمّا الآخر فيرى أنه كان للثقافة الفارسية أثر كبير منذ القرن الأول الهجري، في أشياء كثيرة من مثل: طرق الغناء، وفنون الإبقاء، والآلات الموسيقية. ثم أرجع كل تطور في مضامين الشعر العربي ومعانيه ولغته إلى التأثير الفارسي، وخلص إلى أن الثقافة الفارسية كانت أهمّ الثقافات التي أثرت في العقلية العربية آنذاك.

وأما الفئة الأخيرة: التي يمثلها أحمد أمين وشوقي ضيف، فأكثر الفئات اعتدالاً.

إذ يتحدث أحمد أمين عن أثر الثقافات الثلاث: الفارسية، واليونانية، والهندية، ويركّز في كلامه على الثقافة الفارسية، على الآثار الحضارية في الحياة الاجتماعية وأثرها في الأدب، والأدب المكشوف خاصة وما انضوى تحته من ضروب وأشكال. ثم يشير إلى أثر القصص الفارسية التي نقلت إلى العربية، وإلى فنّ "التوقيعات" وغير ذلك مما أثر عن الفرس.

ويذهب شوقي ضيف إلى أنه كان للثقافة الفارسية أثر كبير في النواحي الحضارية، والأمور الاجتماعية، ويقول: «وكانت للثقافة الفارسية الشعبية أبعد تأثيراً في المحيط العربي لهذا العصر، فقد دخل جمهور الفرس الإسلام واقتبس العرب كثيراً من صور حياتهم» (بكار، ٢٠٠٠، صص ١٠-١٢).

هذا ونعلم - كما يعلم كل من لديه رأي صائب وضمير صالح - أن مساهمة العنصر الإيراني وأدبه ومدى تأثيرهم في تشييد صرح الحضارة الإسلامية ولاسيما في الفكر والأدب العربي، أمر أوضح من الشمس، ولكن بما أن المثل المعروف يقول:

خوشت آن باشد كه سرّ دلبران                      گفته آيد در حديث ديگران

(مولوي، دفتر ١، بيت ١٧٥)

أو: «الفضل ما شهدت به الأغيار»؛ فرجّحت أن أستشهد بما كتبه صلاح الصاوي بهذا الصدد في كتابه قطاع في تيار التفاعل بين الأدبين الفارسي والعربي بين الفردوسي والهمذاني، فأحببت أن أقتبس منه ما يروق؛ فيقول صاحب الكتاب ما خلاصته:

والواقع أن تنحية العنصر الفارسي عن السلطان بعد ما حقّق الرشيد نظرية المشاركة الكاملة، وزوال شوكتهم بعد نكبة آل برمك ثم بني سهل، قد أدّت إلى صدمة نفسية عنيفة في نفوس الفرس، وجدت التعويض عنها في إقبالهم على إحياء قوميتهم واستعادة مجدهم

السالف ويبدو أنهم أدركوا مسئوليتهم والتزامهم بالنسبة للإسلام ونشره فيما وراء بغداد من الأقطار الشرقية. فانصرفت إمكانياتهم وكفاءاتهم إلى الميدان الجديد، وانقطع تيار التفاعل بين الشعبين العربي والفارسي. ويجدر بنا حتى نقدّر ما فقدّه الأدب العربي نتيجة لهذا الموقف، أن نقارن بين القطبين بعد الانفصال. فيتّضح لنا جلياً، أن الفكر الفارسي قد انطلق يتابع مسيرته الإبداعية في شتى حقول الثقافة والمعرفة؛ فأسّس مدارس جديدة للفلسفة والحكمة، وسجّل نجاحات باهرة واكتشافات قيّمة في ميادين العلوم والرياضيات والفلك والطب والصيدلة وغيرها، وأخذت الفنون عامّة والآداب خاصّة والشعر على الأخص فرصتها الكاملة في الحياة. فازدهرت الحياة الفكرية عامة والأدبية خاصّة، وقدمت للإنسانية هذا التراث الذي لا يزال يجذب أنظار الغربيين والشرقيين على السواء ولا يزالون يغترفون من مناهله حتى اليوم.

هذا، بينما نشاهد أن الفكر العربي قد تجمّد بعد القرن الرابع وانطوى على ما في يده. فإن تحرك، فغاية العلم جمع الثمر وتعليبه في موسوعات أو الشرح والتحشية. أمّا الأدب، فقد توقّف عن النموّ وأخذ ينسحب من الحياة كشيء حيّ إلى شيء أشبه ما يكون "بالطبيعة الميتة أو اللوحات المستنسخة" في عرف الرّسّامين. وانتابت الأدب بل دولة الأدب حالة من الاجترار الماضي. فلو أن هذا الصدع بين الأمّة الواحدة لم يحدث ولم يؤدّ إلى هذا الانشطار وانقطاع التيار، لسجّل الأدب العربي فترة ذهبية حقيقية امتداداً لما سبق، ولارتفع من كونه أدب الأمّة الإسلامية إلى أدب عالمي مشترك يرى فيه غير المسلم ما يراه في آثار الخيام، وحافظ، والرومي.

فالسبب الأساسي فيما انتاب الأمّة الإسلامية عامّة والعربية خاصّة، وأثر في جميع جوانب الحياة ولاسيما الأدب، هو تلك السدود التي وضعت أمام النشاط الفارسي على صعيد الإسلام، وذلك القطف الذي حدث في الأمّة الواحدة بانصراف العنصر الفارسي عنها واختفائه من المسرح شيئاً فشيئاً حتى غدا ذكرى بعد حضور وعيان «والدهر يفجع بعد العين بالأثر». لقد كان المجتمع الإسلامي أثناء وجود الإيرانيين مجتمعاً متعاوناً متنافساً ولهذا حقق ذلك الازدهار، ولقد خسرت العربية كل ما أنتجته القرائح الإيرانية بعد الانفصال» (الصاوي، ١٩٩٠، صص ٥-١٦).

هل يصدر السامرائي هذا الحكم نفسه على سائر الأمم التي اعتنقت الإسلام؟

وبينما يعجب السامرائي عجباً شديداً مما يقال في حضارة الفرس القديمة بمراحلها المختلفة قبل الإسلام وينكرها بسبب أنه لا يجد في لغتهم شيئاً يدل عليها، فهو يُقرّ بحضارة مصر القديمة قبل الإسلام، أو على الأقل لا ينكرها؛ بينما المصريون قد تركوا لغتهم النبطية وأقبلوا إلى العربية وجعلوها ولا يزالون لغتهم الرسمية واستعربوا رغم حضارتهم وثقافتهم القديمتين، ولكن الفرس تمسكوا بلغتهم. «ولو كان الفتح العربي قد أدخل اللغة العربية إلى فارس حتى أصبح العلم والأدب والسياسة جميعاً لا تعرف تعبيراً غير العربية وتقلص ظلّ الفارسية حتى القرن الثالث الهجري.» (عبد الغفار، ١٩٨٩م، ص ١٧٧). لأنهم قد امتلكوا لغة حية متأصلة جذورها في تاريخ وحضارة باهرتين زاهرتين، لم يتركوهما بعد اعتناقهم الإسلام بل صبّوا عذب جداولها في نهر الحضارة الإسلامية وسعوا وراء إثراء معاني العربية وإغناء مفاهيمها خدمة للدين الجديد والقرآن المجيد.

يشرح شوقي ضيف في كتابه تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي، هذه الظاهرة، أي استعراب بعض الأمم بعد الإسلام إذ يقول: «لما فتحت الفتوح ومصرّت الأمصار، أخذت لغة القرآن تسود في مشارق العالم الإسلامي ومغاربه، إذ كانت تلاوته فرضاً مكتوباً على كل مسلم، وحثّ الإسلام على حفظه وترتيبه: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ وبذلك تحول المسلمون في جمهورهم إلى حفظة للقرآن ... ومن غير شك أتاح هذا الحفظ لهجة قريش لا أن تنتشر في العالم الإسلامي فحسب بل أن تحتفظ أيضاً وتظلّ على مرّ العصور فأصبح هو اللسان الأدبي من أواسط آسيا إلى المحيط الأطلسي، فكل من عاشوه في هذه الأنحاء تكلموا العربية القرشية، إذ حلت من أسنتهم محلّ لغاتهم الأول وأصبحوا عربياً يعيرون بالعربية عن مشاعرهم وعقولهم» (ضيف، ١٩٢٢، ص ٣١).

أحقاً لا يمتلك الفرس ما يعادل الألفاظ والمصطلحات العربية؟!

أمّا بالنسبة إلى الكلمات التي أوردتها السامرائي كدليل على ضعف الفارسية وافتقارها للموادّ البدائية والأساسية للغة ما، فهناك بين أيدينا ما يعادلها ويرادفها في الفارسية؛ ومنها:

أساس: پی، بنیاد، پایه، شالوده، پایگاه، پای بست، پیکره ...

إسهال: دل پیچه، شکم روش، رانش ...

بخار: تَف، دم، دمه، دوت ...

جواب: پاسخ

حيله: چاره گری، نیرنگ، داستان، افسون، کلک، فریب، ترفند، نارو، سالوس، رنگ، ساز، چاره ...  
حلال: روا، شایسته، سزاوار، شایست ...

حرام: ناروا، گناه، بازداشته، ناشایست و ناروا بودن، نابایست بودن ...

ساقی: آب دهنده، میگسار، می دهنده، نوشاننده ... (دهخدا، ۱۳۳۴؛ رازی، ۱۳۷۵، ذیل الكلمات).  
وكذلك يوجد كثير من المفردات الأصلية الفارسية المترادفة للألفاظ العربية الشائعة في لغتنا.

فإذن هناك سؤال مفروض، وهو ما يلي:

إن كان لدينا ألفاظ ترادف هذه الكلمات وتعادلها، فلماذا لم ولا نستخدمها؟ ولماذا نجد في آثار القدامى والمعاصرين من الشعاعين والناثرين وحتى في لغة التخاطب والمكاملة اليومية كميات كبيرة من المفردات والعبارات العربية التي كنا ولا نزال نستخدمها؟

فهذا سؤال ليس للجواب عنه من سبيل، ويمكن تلخيص بعض الجواب في السطور التالية:

(١) انتشار العربية في إيران وإشاعتها؛ فهناك عوامل ساعدت على انتشار العربية في إيران وإشاعتها ويمكن إجمالها بما يلي:

• الإسلام: هو الدين الحق ودين الفطرة أيضاً، ولما وجدته الفرس ملائماً لفطرتهم آمنوا به عن عقيدة وإخلاص، وجدوا كثيراً في نشره وتبليغه. وتبع ذلك أنهم رأوا من الواجب عليهم أن يفهموا القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة باعتبارهما المصدر الأساس لهذا الدين، وهذا يستلزم إتقان العربية وإجادتها فوجهوا همهم إلى ذلك، مضافاً إلى أنها أحييت عندهم بهالة مقدسة باعتبارها لغة القرآن والسنة. فوجهوا جلّ اهتمامهم إلى تعلم العربية لتكون طريقاً لهم إلى هدفين مهمين هما:

ألف) التصلح من العلوم الإسلامية.

ب) نقل حضارتهم إلى المجتمع الإسلامي.

• إدارة الفرس الإمبراطورية الإسلامية: عندما استقر المسلمون في بلاد الفرس كان هؤلاء قد قطعوا مراحل مهمة من سلم الرقي العقلي وتقدموا إلى حد ما في الحضارة والتمدن، في حين أن العرب لم يكونوا يعرفون شيئاً من هذه المراحل في جاهليتهم، لذلك احتاجوا إليهم في

إدارة هذه الإمبراطورية العظيمة فعهدوا إليهم بإدارة المناصب الهامة في الدولة زمن الأمويين والعباسيين، فكان هذا عاملاً مهماً في تعلّمهم العربية من جهة وإشاعتها من جهة أخرى. إضافة إلى أنهم بتسلّمهم هذه المناصب الهامة نقلوا ثقافتهم الفارسية إلى العربية.

• مهاجرة العرب إلى إيران: بعد أن فتح العرب المسلمون بلاد فارس انتقل كثير منهم من شبه جزيرتهم إلى أصقاع هذه البلاد ومدنها واستوطنوا فيها واختلطوا باهلها فكان هذا حافظاً مهماً لأهل هذه البلاد - أي الفرس - على تعلّم العربية وآدابها باعتبارها لغة العرب المسلمين من جهة ولغة الدين الجديد الذي آمنوا به من جهة ثانية. (ايرواني زاده وشاملي، ١٣٨٤، صص ١٢-١٣).

(٢) كثير من المصطلحات العلمية في مختلف الموضوعات منها: العلوم الدينية، والعقلية، والحديث، والتصوف، دخل إلى الفارسية بعد ترجمة هذه العلوم إلى الفارسية، لأنها كانت تكتب في بداية الأمر بالعربية والكتّاب والمترجمون كانوا يستخدمون نفس المصطلحات في الفارسية. (باقري، ١٣٧٩، ص ١١٧)

(٣) شغف العلماء الإيرانيين نحو العرب والعربية، فمثلاً الثعالبي النيسابوري يكتب في مقدمة كتابه لبياب الآداب: «... والعرب خير الأمم والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهّمها من الديانة» (الثعالبي، ٢٠٠٩، ص ١). وهذا الصاحب بن عباد يقول: «لا ترون رجلاً يفضّل العجم على العرب إلا وفيه عرق من المجوسية يرجع إليها» (العباسي، ٢٠٠٩، ج ١، ص ٤٠١). وسبب هذا الحبّ هو أن الفرس آنذاك قد آمنوا بالإسلام عن عقيدة وإخلاص وكانوا يعدّون أنفسهم مدينين للعرب ورهينين لهم وكانوا يحبونهم؛ لأن النبي الأكرم ﷺ كان قد بعث من بين ظهرانيهم والدين الجديد استتبّ وانتشر في إيران بأيديهم. (تويسركاني، ١٣٥٠، صص ٢٤٣-٢٤٤)

(٤) الجنوح نحو التفنّن والتلاعب مع الألفاظ والميل إلى زخرفة الكلام وتزويده بالمفردات والتراكيب العربية وتحسينه بالمحسنات اللفظية والمعنوية والصنائع البديعية، كتلميح وتضمين الآيات والاحاديث وغيرها.

(٥) والتظاهر بالفضل والرغبة في الترفّع على العامة؛ الرغبة التي لا تزال نجدها عند بعض المتخرّجين والمتقّفين بالنسبة إلى اللغات الأوروبية.

(٦) وعدم العناية والمبالاة؛ أي الاكتفاء بما يكون في متناول أيديهم دون أن يجدوا ويحاولوا للعثور على ما يعادل الكلمة في الفارسية واستخدامها.

٧) والاتجاه نحو الاختصار والاقتصاد؛ فبيانه أن الفارسية - كما تعلمون - لغة تركيبية فلنلحق أحياناً عدة كلمات بعضها بالبعض للتعبير عن معنى واحد؛ بينما العربية لغة اشتقاقية، ربما لفظة بسيطة فيها تبين مفهوماً طويلاً، نحو: الاعتراف، والاستشهاد، والتفضيل، والهجوم وغيرها.

٨) والاجتناب عن تكرار كلمة واحدة لتبيين معنى واحد وهذا طريقة من يتصنع في الكتابة. (شهيد، ١٣٧٢، ص ٦٠٠)

أحقاً لعن الفردوسي الدهر بعد أن سعى وراء القضاء على العربية في ملحمة ولم يحالفه الحظ؟! عندما يقول السامرائي: «ألم يأتنا نبأ الشاعر الفردوسي الذي عاش في حقبة شعر فيه الفرس أن يعودوا إلى أمجادهم التي زعموا أن الإسلام قد قضى عليها، فظلم ملحمة *الشاهنامه* لهذا الغرض، ثم عاد ليرى ما فيها من العربية التي اجتهد على أن يستبدها من صنعته ما وسعه ذلك، فكان أن وجد فيما صنع مئات عدّة من الألفاظ العربية، فسخط وصرخ قائلاً: «تُف عليك أيّها الفلك الدوّان!» (السامرائي، ١٩٩٧، ص ٢١٣). فهو يوجّه بكلامه هذا اتهامين اثنين نحو الشعب الإيراني وشاعرهم الحكيم أبي القاسم الفردوسي؛ التهمة الأولى: هي القول بأنهم - أي الفرس - زعموا أن الإسلام قد قضى على أمجادهم وسيادتهم، والثانية التي ترمي إلى حكمة الفردوسي وتشوّه بصيرته وعقليته: هي القول بتعمده في استخدام المفردات الفارسية الأصيلة ومحو كل كلمة تنفوح منها رائحة العربية من *الشاهنامه*.

أمّا الردّ على التّهمة الأولى فهو فيما يلي:

فإن إحياء اللغة الفارسية لا يعتبر طبعاً مكافحة أو ردة فعل تجاه الإسلام أو العرب من قبل الشعب الإيراني، لأنهم ما أخذوا يهتمون بالفارسية معاداة للإسلام أو العرب ولم ولا يعدون العربية لغة أجنبية. فما هي الإجابة لو سأل سائل: هل الإسلام قضى على مفاخرنا وأمجادنا؟

الإجابة الحازمة هي بالنفي، لأننا لو راجعنا سجلّ أعمال الإسلام منذ قدومه إلى إيران ودرسنا أوضاع إيران السياسية والاجتماعية في تلك الفترة وعالجنا ما أخذ الإسلام متاً وما أعطانا، لعلمنا أنّ الإسلام قد كسر الطوق السياسي والمذهبي الذي كان قد أحاط بإيران وفتح أبواب البلاد الأخرى عليها، وفتح أبوابها على الثقافات والحضارات الأخرى. وهذه الأبواب المفتوحة أدّت إلى نتيجتين للإيرانيين؛ الأولى: هي أنهم تمكنوا من أن يثبتوا في العمل، ذكائهم

وليافتهم ونبوغهم للعالمين بحيث أن الأمم الأخرى قد اعترفوا بزعامتهم وسيادتهم في مجال العلم والأدب والدين والفن... والثانية: هي أنهم بسبب التعرّف على الحضارات الأخرى قد استطاعوا أن يلعبوا دوراً عظيماً في تكميل حضارة عالمية عظيمة وتميبتها.

وأن الإسلام عرّف الإيراني إلى نفسه وإلى العالم؛ وبعبارة أخرى، كشف الإيراني نفسه بالإسلام ثم عرّف نفسه إلى العالمين. ولو كان الإسلام هجمة عنيفة في رأي السلطات السياسية والدينية الحاكمة على إيران زمن الساسانيين، وفي رأي هواتهم في عصرنا الحاضر، ولكنه بالنسبة إلى الشعب الإيراني، كان ثورة دينية اجتماعية علمية، ثورة غيرت الإيدولوجية الإيرانية، ودمّرت النظام الطبقي الجائر وحرّرت الشعب من نير الأديان الباطلة والعقائد الخرافية.

هذا وأن الخدمات التي أسدى الإسلام إلى إيران والإيرانيين لا تقتصر على القرون الإسلامية الأولى بل أنه دفع جميع المخاطر التي حدثت لنا على مرّ العصور. فالإسلام هذا، هو الذي قد هضم التتار وحول هؤلاء البربريين إلى دعاة العلم والمعرفة، وجعل محمد خدابنده في ذرية جنكيز خان، وخلق بايسنقر وأمير حسين بايقرا من نسل تيمور لنك. ولا يزال حتى عصرنا الراهن هو الذي يصمد أمام المكاتب والمدارس الفلسفية المخربة الأجنبية ويعدّ منبث شرفنا ومحطّ كرامتنا. وما نفتخر به اليوم هو القرآن ونهج البلاغة لا الأفاستا والزند. (مطهري، ١٣٨٩، صص ١٣٠-٣٢٠)

وأما للردّ على التهمة الثانية، فهناك ملاحظات عدّة ينبغي أن نجعلها نصب أعيننا عندما نريد أن ندرس قاموس *الشاهنامه* اللغوي؛ ومنها ما يلي:

١. إن الألفاظ العربية التي استعملها الفردوسي في ملحّمته، هي ألفاظ بسيطة سائدة بين الناس موجودة في أشعار الشعراء المتقدمين منه وحتى معاصريه؛ هذا وهؤلاء قد استخدموها في نطاق أوسع وفي إطار أرحب، أمّا المفردات العربية المهجورة فهي نادرة جداً في *الشاهنامه* حتى كأننا لا نكاد نجدها.

٢. إن رغبة الفردوسي في الإتيان بالمفردات الفارسية وعدم إفراطه في استعمال العربية منها، تدلّ على أنه كان قد يستخدم لغة العامّة السائدة في بيئته ولم يكن يتعمّد استخدام الألفاظ الفارسية المحضة، أو التجنّب من استخدام العربية منها بل كان في هذا كله متأثراً من مصادر ومأخذ صنعته ولهذا وعلى سبيل المثال نرى أنه أكثر من إيراد المفردات العربية عندما ينظم قصة اسكندر متأثراً من مأخذه العربي أو المترجم منه. (شكيبا، ١٣٧٠، ص ٥٣)

فاستعمل الفردوسي في ملحمة الشاهنامة ٧٠٦ لغة عربية. عندما نحلل وندقق هذه، سنستنتج أن الفردوسي، في أثره هذا، لا يحاول أن يميّز الألفاظ الفارسية على العربية ولا يفرّقها عنها. وإنما هدفه الرئيسي من نظمها، هو أن ينشد أساطير شعبية قومية.

وإذا كان الشعراء الآخرون الذين كانوا يخاطبون صفوة القوم - في زمنه - يحاولون أن يستخدموا لغة مصطنعة، مليئة بالمفردات الشاذة والنادرة - فارسية كانت أم عربية - ليكون هذا دليلاً على حداقتهم ومهارتهم، كان الفردوسي يبذل جلاً جهده في أن ينظم حماسية قومية للعرض على جماهير الشعب. لهذا نجد في أثره الخالد قليلاً من الألفاظ العربية بالنسبة إلى سائر شعراء عصره. (معين فر، ١٣٦٩، ص ٣٦٠) فقلّة استعماله للألفاظ العربية ليست دليلاً على قصده وتعمّده لمحو العربية وإزالتها من أثره ولا إيثار الفارسية على العربية. ولكن مع الأسف، كثير من الكتاب ولاسيما المستشرقين منهم، كانوا ولا يزالون يسعون وراء إقتناع مخاطبيهم بأن الأحاسيس الوطنية والتعصّب المفرط نحو القومية الإيرانية، نضرت الفردوسي من العرب، والعربية، والإسلام، ودعته إلى أن لم يألو جهداً في سبيل تهذيب أثره منها. (معين فر، ١٣٦٩، صص ٣٥٢-٣٥٥).

وهنا لا بدّ أن نذكر بضعة أمثلة قد أختيرت صدفة من بين كمية غير قليل من المفردات المستعملة في الشاهنامة ردّاً على هذه الأباطيل والترهات وشاهداً على ما نذهب إليه، فإليك ما يلي:

فالفردوسي عندما يريد أن يصف إعجاب الجيش الإسكندر عند المرور بماء الحيوان يقول:

چو لشکر سوی آب حیوان گذشت      خروش آمد الله اکبر ز دشت

(فردوسي، ١٣٨٦، ج ٦، ص ٩٣)

وهكذا يستخدم مصطلحاً إسلامياً عربياً أي: الله اكبر كأسلوب لبيان التعجّب. والطريف أو الجدير بالذكر هنا أنه قد استخدم هذا، في قسم من الشاهنامة يختصّ بحياة الإسكندر وفي عصر يبعد من العصر الإسلامي بكثير.

وأيضاً بعد أن يتم توصيف وفاة الإسكندر وبكاء أمّه وزوجته وانتحابهما عليه؛ يلقن القارئ درساً أخلاقياً بقوله:

اگر ماند ايدر ز تو نام زشت      نیابی عفا الله وخرم بهشت

(م.ن، ص ١٢٨)

وكذلك يجري التحية الإسلامية على لسان مغيرة بن شعبه رسول سعد بن أبي وقاص رداً على تحية رستم بن فرخزاد، عندما يقول:

به رستم چنین گفت کای نیکنام      اگر دین پذیری علیک السلام

(م.ن، ج. ٨، ص. ٤٢٨)

وأكثر من هذا، في بعض الأبيات - في رسالة سعد إلى رستم مثلاً - لا نرى للفارسية دوراً إلا في التركيب النحوي وأما المفردات فهي عربية برمّتها. وإليك الأبيات:

ز جنى سخن گفت و از آدمی	ز گفتار پیغمبر هاشمی
ز توحید و قرآن و وعد و وعید	ز تأیید و از رسم‌های جدید
ز قطران و از آتش و زمهریر	ز فردوس و جوی می و جوی شیر
ز کافور منشور و ماء معین	ز درخت بهشت و می و انگبین
شفیع از گناہش محمد بود	تنش چون گلاب مصعد بود

(م.ن، ج. ٨، صص ٤٢٥-٤٢٦)

فبناء على هذا كله، نستطيع أن نقول: إن هذه الآراء السطحية والأحكام التي لا أساس لها، لا تدلّ إلا على جهل أصحابها - رغم ادعائهم - بالشاهنامه. (معين فر، ١٣٦٩، صص ٣٥١-٣٥٢).

أما بالنسبة إلى عبارة «تف عليك أيها الفلك الدوار»!! التي زعم السامرائي أن الفردوسي هو قائلها عندما وجد فيما صنع مئات عدّة من الألفاظ العربية؛ فهذا رأي أقرب إلى الأسطورة منها إلى الحقيقة، ولست أستطيع أن أصف هذا القول بأقلّ من أنه كلام من لم يقرأ *الشاهنامه*؛ لأنها ترجمة مصراع من القصيدة التي تكون في شأن رسالة كتبها رستم بن هرمزد قائد جيش يزدرج إلى سعد بن أبي وقاص قائد المسلمين، الرسالة التي يحذّر فيها العرب من نيل القصاص ويحقّرهم على وضاعة أصلهم وبساطة عيشهم ورثّ ملابسهم وفضاعة طعامهم، متباهياً بغناء ملوك العجم وسيطرتهم على سائر الأمم. وجاءت هذه في بعض نسخ غير مشهورة من *الشاهنامه* فحسب، وهنا آتي بيّتين منها:

ز شیر شتر خوردن و سوسمار	عرب را به جایی رسید است کار
که دیهیم شاهی کنند آرزو	تفو بر تو ای چرخ گردون نفو

وروي في بعض الآخر:

که تاج کیان را کند آرزو      تفو باد بر چرخ گردون تفو

(فردوسی، ۱۳۸۶، ج ۸، ص ۴۲۳)

أي: «...ثم بلغ بكم الأمر من شربكم ألبان الإبل وأكلكم أضباب القيعان إلى تمني أسرة الملوك العجم، أرباب التخوت والتيجان، فأف لك يا فلك السماء» (بنداري، ۱۹۷۰، ص ۲۶۶).  
وفي آخر المطاف أحب أن اختتم كلامي بما ذكره صلاح الصاوي في ختام كتابه قطاع في تيار التفاعل بين الأدبين الفارسي والعربي، عندما يقول: «وأخيراً جداً، فإن هذا الذي بين يديك أيها القارئ الكريم، لا يخرج عن كونه جهد مقل، وأياً ما كان فهذا رأيي ووجهة نظري، استندته بالشواهد والإسنادات، فإن وافقتني أسديت فضلاً، وإلا فللعلم والأدب ثلاثمة وستون وجهة نظر مختلفة في المحيط الدائر حول المركز» (الصاوي، ۱۹۹۰، ص ۱۵۶).

### النتائج

بعد هذا الذي عرضناه من محاولة لا ندري مدى توفيقها، فعمل القارئ الكريم يوافقنا على ما ذهبنا إليه من أن:

- ليس الأخذ والعطاء دليلاً على وجود نقص في لغة ما، أو وجود ضعف في تفكير المتكلمين بها.

- إذا كان العرب قد أخذوا من الفارسية مما هو محسوس مشاهد من أسماء الأدوات والآلات ونحوها، فإن هذا يدل على تخلفهم عن ركب الحضارة وكونهم في طور البداوة من الحياة، بحيث تفتقر لغتهم لأبسط الألفاظ الدالة على ظواهر الحياة المدنية والحضرية؛ لأن اللغات لا تستعير الكلمات الأجنبية ولا تستقرضها إلا عند الخلو منها والافتقار إليها.

- إن النقص المشترك في جميع كتب العربات، إنما هو أن مؤلفيها قل ما أشاروا إلى الألفاظ العلمية ومصطلحاتها. وهذا يؤدي إلى أن لا يجد السامرائي، ألفاظ الفكر والمعارف العامة من أدب، وفن، وفلسفة، وما يتصل بعامة علوم الإسلام فيها، ولو بعد استقراء هذه تماماً.

- إذا اشتملت العربية على ألفاظ المعارف العالية من دين، وأدب، وفن، وغير ذلك، فالفضل هنا أولاً للقرآن الذي أحل فيها المعاني السامية والمعارف العالية التي لم تكن فيها من ذي قبل، وثانياً للفرس الذين اتخذوا العربية وعاءاً لأفكارهم وكتبوا أكثر آثارهم العلمية باللغة العربية وبذلوا قصارى جهدهم في سبيل إثرائها وإغنائها.

- سائر علماء اللغة العرب ومنهم علي عبد الواحد وإفي صاحب كتاب علم اللغة، وجرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية، يروا أن ما أفاده العرب من الفارسية هو ما يدلّ على المدلولات المادية والفكرية، خلافاً لما اعتقد به السامرائي.
- إن المصريين قد تركوا لغتهم النبطية وأقبلوا إلى العربية وجعلوها ولا يزالون لغتهم الرّسميّة واستعربوا رغم حضارتهم وثقافتهم القديمتين، فكيف يعجب السامرائي مما يقال في حضارة الفرس القديمة في مراحلها المختلفة قبل الإسلام وينكرها بسبب أنه لا يجد في لغتهم شيئاً يدلّ عليها، وهذا في حين أنهم لم يتمسّكوا بلغتهم ولم يتركوا حضارتهم فحسب بل صبّوا عذب جدولها في نهر الحضارة الإسلامية.
- يوجد كثير من المفردات الأصيلة الفارسية للألفاظ العربية الشائعة في لغتنا، ولكن بشتّى الأسباب الحقيقية أم غيرها، رجّح أسلافنا ونرجّح نحن اليوم اللفظة العربية.
- لا يفرّق الفردوسي في ملحمة الشاهنامه العربية عن الفارسية وإنما هدفه الرئيسي من نظمها، هو أن يتشد أساطير شعبية قومية للعرض على جماهير الشعب الذين لا يوجد في لغتهم كمية هائلة من المفردات العربية الغامضة والعويصة.

## المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. آذرشب، محمدعلي (١٣٨٤ش). الأدب العربي وتاريخه حتى نهاية العصر الأموي. طهران: سمت.
٢. ابن خلدون، عبد الرحمن (١٩٧١). المقدمة. بيروت: مؤسسة الأعلمي.
٣. إيرواني زاده، عبدالغني؛ شامل، نصرالله (١٣٨٤ش). الأدب العربي والإيرانيون: من بداية الفتح الإسلامي إلى سقوط بغداد. طهران: سمت.
٤. بكار، يوسف حسن (٢٠٠٠). نحن وتراث فارس. دمشق: المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية.
٥. بنداري، فتح بن علي (١٩٧٠). الشاهنامه. تصحيح: عبدالوهاب عزّام. القاهرة: المكتبة الإسلامية.
٦. الثعالبي، عبد الملك بن محمد (٢٠٠٩). لباب الآداب: موسوعة الشعر العربي. قرص كمبيوتر، الإصدار ١، أبوظبي: مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم.
٧. الجاحظ، عمرو بن بحر (٢٠٠٩). البيان والتبيين: موسوعة الشعر العربي. قرص كمبيوتر، الإصدار ١، أبوظبي: مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم.
٨. الجبوري، كامل سلمان (٢٠٠٤). معجم الشعراء. ج ١. بيروت: دار الكتب العلمية.
٩. زيدان، جرجي (١٩٩٢). تاريخ آداب اللغة العربية. بيروت، دار مكتبة الحياة.
١٠. السامرائي، إبراهيم أحمد (١٩٩٧). الدخيل في الفارسية والعربية والتركية: معجم ودراسة. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.
١١. الصاوي، صلاح (١٩٩٠). قطاع في التيار التفاعل بين الأدبين الفارسي والعربي بين الفردوسي والهمذاني. طهران: [دون نا].
١٢. ضيف، شوقي (١٩٢٢). تاريخ الأدب العربي: العصر الإسلامي. القاهرة: دار المعارف.
١٣. العباسي، أبو الفتح عبد الرحمن (٢٠٠٩). معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: موسوعة الشعر العربي. قرص كمبيوتر، الإصدار ١، أبوظبي: مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم.
١٤. عبدالغفار، حامد هلال (١٩٨٩). علم اللغة بين القديم والجديد، ط ٣. القاهرة: مطبعة الجبلاوي.
١٥. العلاونة، أحمد (٢٠٠١). إبراهيم السامرائي: علامة العربية الكبير والباحث الحجّة. دمشق: دار القلم.

١٦. علي، جواد (١٩٨٠). *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*. ط ٢. ج ٣. بيروت: دار العلم للملايين.

### المصادر والمراجع الفارسية

١٧. امام شوشتري، محمد علي (١٣٤٧ش). *فرهنگ واژه‌های فارسی در عربی*. طهران: سلسله انتشارات انجمن آثار ملي ايران.

١٨. باقري، مهري (١٣٧٩ش). *تاريخ زبان فارسی*. تهران: قطره.

١٩. تويسرکاني، قاسم (١٣٥٠ش). *تاريخی از زبان تازی در میان ایرانیان*. طهران: دانشسرای عالی.

٢٠. دهخدا، علي اکبر (١٣٣٤ش). *لغت نامه*. طهران: دانشگاه تهران.

٢١. رازي، فريده (١٣٧٥ش). *فرهنگ واژه‌های فارسی سره برای واژه‌های عربی در فارسی معاصر*. طهران: نشر مرکز.

٢٢. شکیبا، پروين (١٣٧٠ش). *شعر فارسی از آغاز تا امروز*. تهران: هیرمند.

٢٣. شهیدی، سيد جعفر (١٣٧٢ش). *از ديروز تا امروز (مجموعه مقالات)*. طهران: [دون نا].

٢٤. عبد التواب، رمضان (١٣٦٧ش). *مباحثی در فقه اللغة و زبان شناسی عربی*. ترجمه حمید رضا شیحی. مشهد: آستان قدس رضوي.

٢٥. فردوسی، أبو القاسم (١٣٨٦). *شاهنامه*. باهتمام جلال خالقي مطلق. طهران: مرکز دائرة المعارف بزرگ اسلامي.

٢٦. مطهري، مرتضی (١٣٨٩ش). *خدمات متقابل اسلام و ايران*. ط ٣٨. طهران: صدرا.

٢٧. معین فر، محمد جعفر (١٣٦٩ش). *فردوسی و لغات عرب: نمیرم از این پس که من زنده‌ام*. *مجموعه مقالات کنگره جهانی بزرگداشت فردوسی، هزاره تدوین شاهنامه، باهتمام غلامرضا ستوده*. طهران: دانشگاه تهران، دیماه ١٣٦٩.

٢٨. ملا ابراهيمي، عزت؛ محمدي مزرعة، مجتبی (١٣٨٧ش). *الألفاظ المعربة الفارسية واليونانية في القرآن*. *مجلة آفاق الحضارة الإسلامية*، معهد العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، العدد ٢٢، السنة ١١، مهر ١٣٨٧.

٢٩. مولوي، جلال الدين محمد (١٣٦٣ش). *مثنوي معنوي*. تصحيح رينولد أ. نيكلسون. طهران: أميرکبير.